

**البيئة وأثرها على السكان في الجزيرة العربية  
قبل الإسلام؛ دراسة الأثر بين البادية والحاضرة**

The Environment and Its Impact on the Inhabitants of the Arabian  
Peninsula Before Islam

(A Study on the Impact between Nomads and Settled People)

**إعداد**

د. سلطان أحمد الغامدي

أستاذ مشارك \_ جامعة أم القرى

Dr. Sultan Ahmed Al-Ghamdi

Associate Professor, Umm Al-Qura University

**مجلة الدراسات التربوية والانسانية، كلية التربية، جامعة دمنهور،  
المجلد السادس عشر - العدد الرابع - الجزء الأول - لسنة 2024**



## البيئة وأثرها على السكان في الجزيرة العربية قبل الإسلام؛ دراسة الأثر بين البادية والحاضرة

د. سلطان أحمد الغامدي

### الملخص

البيئة هي كل ما يحيط بالإنسان، فيؤثر فيها وتؤثر فيه، وتنقسم البيئة إلى قسمين : بيئة طبيعية وبيئة بشرية، فالطبيعية هي كل ما يحيط بالإنسان من ظواهر حية وغير حية، والبشرية هي إنجازات البشر في بيئته الطبيعية .

تميزت بيئة الجزيرة العربية بصعوبة مناخها وتضاريسها، فالأجواء الحارة وندرة الأمطار والصحاري والجبال والهضاب، كان لها تأثير كبير على سكانها، فقد تأثروا كثيراً بهذه الأجواء والتضاريس، وفرضت عليهم نمطاً معيناً في عاداتهم وتقاليدهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولكنهم تعايشوا مع هذا الوضع، وبذلوا الجهود لتذليل الصعاب حتى تستمر الحياة، وحاولوا الاستفادة من كل ما هو موجود في الطبيعة، على الأرض أو في السماء لخدمتهم، ومن هنا كانت علاقة بيئة الجزيرة العربية بسكانها، علاقة متميزة في فترات، وصعبة في فترات أخرى.

انقسم سكان الجزيرة العربية قبل الإسلام، إلى البادية والحاضرة والسكان القريبيين من السواحل، وكان لكل مجتمع من هذه المجتمعات أساليب خاصة في الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، من تأثير البيئة عليهم، ولكنهم استطاعوا أن يتعايشوا مع هذا الوضع، ويتجاوزوا الكثير من المراحل الصعبة في هذه الحياة .

## Abstract

The environment encompasses everything surrounding humans, influencing and being influenced by them. The environment is divided into two categories: natural and human-made. The natural environment includes all living and non-living phenomena surrounding humans, while the human-made environment consists of human achievements within their natural surroundings. The Arabian Peninsula's environment is distinguished by its harsh climate and terrain, where hot weather, scarce rainfall, deserts, mountains, and plateaus have significantly impacted its inhabitants. These conditions have greatly influenced their customs, political, economic, and social traditions, imposing specific patterns. However, the inhabitants have adapted and made efforts to overcome these challenges to sustain their lives, striving to utilize everything available in nature, both on land and in the sky, for their benefit. Thus, the relationship between the environment of the Arabian Peninsula and its inhabitants has been distinctive at times and challenging at others.

Before Islam, the inhabitants of the Arabian Peninsula were divided into nomads, settled people, and those living near the coasts. Each community developed unique social, political, and economic practices influenced by the environment, yet they managed to adapt and overcome many difficult phases in their lives.

## المقدمة :

لقي الاهتمام بالبيئة تزايداً سريعاً على الساحة العالمية، وربما يرجع هذا لكونها أصبحت تهدد بقاء الانسان ورفاهيته، إلا أن هذا الإدراك الواسع لأهمية البيئة لا يعني أن العلاقة بين الإنسان والبيئة علاقة حديثة العهد، بل هي علاقة أزلية وأبدية معروفة على مر التاريخ . ولقد كانت هذه العلاقة في البداية تتسم بسيطرة البيئة على الانسان، إلا أنه سرعان ما أصبح هو الطرف القوي في هذه العلاقة، وأخضع البيئة له، ومن هنا زاد الاهتمام بدراسة هذه القضية على نطاق العلماء والمتخصصين .

فقد ارتبط هذا الاهتمام في البداية بالعلوم الطبيعية، إلا أن هذا ينبغي ألا يجعلنا نغفل عن حقيقة هامة، وهي أن الانسان في النظام البيئي يشكل عنصراً أكثر تأثيراً، فهو الذي يقوم بالاستفادة من مواردها، وفي بعض الأحيان يضغط عليها ويستنزفها، بل وصل الأمر إلى تلويثها .

وفي هذا الإطار جاءت هذه الدراسة، لتبين البيئة الطبيعية للجزيرة العربية وأثرها على السكان (الحاضرة وهم أهل الاستقرار والبادية وهم كثيري الترحال)، وتحديداً في الجانب الاقتصادي، الذي يعد عصب الحياة منذ أقدم الدهور حتى يومنا الحاضر، ومن ثم تبيان هذا التأثير على الجوانب السياسية والاجتماعية .

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تطرقت إلى موضوع جد مهم، ألا وهو موضوع البيئة، وأثرها على حياة البشر، في شتى المجالات وتحديداً الجانب الاقتصادي، حيث كانت ولا زالت مثل هذه المواضيع تحظى باهتمام كبير، لأنها توضح التأثير والتأثر المتبادل بين الانسان والبيئة، ومن ثم يمكن للباحث أن يتعرف على الواقع الذي كان يعيشه البشر في ذلك الزمان، وعلى الدوافع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في علاقات عرب الجزيرة فيما بينهم البين .

ولتحقيق مبتغى الدراسة سيتم اتباع منهجية الوصف والتحليل والربط، واستخلاص النتائج والأفكار من خلال استعراض البيئة الجغرافية للجزيرة العربية، وأثرها الاقتصادي تحديداً على سكانها في أقاليمها المختلفة، للوصول إلى نتائج عامة حول العلاقة بين البيئة والانسان .

## التمهيد :

منذ وجد الإنسان على هذه المعمورة، وهو في صراع مباشر مع البيئة<sup>1</sup>، وما تحتويه من تحديات وصعوبات، ففي بداية الأمر كان يعيش على ما يصطاده من الحيوانات والأسماك، ثم بنوع من التطور صار يقات من الزراعة وما تنتبه الأرض، ومع تطور الفكر البشري حاول التأقلم أكثر مع الظروف البيئية والكوارث الطبيعية وتحدياتها، فتارة يسايرها، وتارة يحاول السيطرة عليها، وتارة يستسلم لها، ولتفسير هذه العلاقة بين الإنسان والبيئة ظهرت عدة نظريات واتجاهات فكرية ومؤلفات علماء وباحثين، محاولة لتفسير الرابطة التبادلية بين الإنسان والطبيعة، وهو ما يعرف بالنظريات البيئية.

ربط ابن خلدون (732هـ-808هـ) بين طبائع الانسان والبيئة، وفسر تأثير الهواء والمناخ على ألوان البشر، وضرب مثلاً على ذلك بشعوب المناطق الحارة، والذي وصفهم بالخفة وكثرة الطرب، وأرجع السبب في ذلك إلى شدة حرارة الشمس، التي تجعلهم أسرع فرحاً وسروراً وأكثر انبساطاً<sup>2</sup>.

وكتب هيبو قراط الملقب بأبي الطب (420ق.م) في كتابه "الجو والماء والأقاليم" أن سكان الجبال المعرضين للأمطار والرياح يتصفون بالشجاعة وطول القامة والطباع الحميدة، أما سكان الأقاليم المكشوفة الجافة، يتصفون بنحافة القامة وحب التحكم<sup>3</sup>.

كما ركز أرسطو (384ق.م-322ق.م) في كتابه "السياسة" على العلاقة بين المناخ وطبائع الشعوب، والارتباط الموجود بين تأثير المناخ في سمات الأفراد، وأعطى صورة على سكان الأقطار الأوروبية بكونهم شجعان، ولكن ينقصهم التفكير السليم<sup>4</sup>، أما أفلاطون (427ق.م-347ق.م) وانطلاقاً من كتابه القوانين، فقد تطرق إلى عنصر الماء، وما يعتريه من

<sup>1</sup> . للمزيد راجع عبد الله عطوي : الجغرافيا البشرية صراع الانسان مع البيئة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1996م ؛ كذا راجع إيمان غيث ومنى ذهبية : الانسان والبيئة صراع أم توافق، ط3، 2015م، دار الفكر، بيروت.

<sup>2</sup> . عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت، 2004م، ص58\_61.

<sup>3</sup> . مايدي عبد المالك، الجماعات المحلية واستراتيجية حماية البيئة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري، الجزائر، 2011م، ص22.

<sup>4</sup> . المرجع السابق : ص23.

تلوث بسبب الانسان، هذا التلوث الذي بدوره، يؤدي حتماً إلى أمراض عديدة تصيب الانسان، فوجب حماية الماء بواسطة قانون يحمي العنصر البيئي من جهة، والعنصر البشري من جهة أخرى، وقد ظهرت عدة قوانين بيئية على هذه الشاكلة في ذلك العصر<sup>5</sup> .

وكذلك استرابون (63ق.م-24م) حين حاول تفسير عظمة وقوة مدينة روما اجتماعياً وسياسياً وحضارياً، من خلال أثر تضاريس الأرض والمناخ والعلاقات المكانية لظهور هذه المدينة، فهو بذلك يربط قوة هذه المدينة وعظمتها بالتضاريس والمناخ<sup>6</sup> .

### أولاً : البيئة :

مما لاشك فيه أن تحديد المفاهيم من الأمور الحيوية لأي باحث، لكي يحدد الإطار الذي يعمل منه، أو يحدد القاعدة التي يرتكز عليها، حيث أن المفاهيم ما هي إلا نتاج خبرات عديدة، وجهود منظمة من قبل الباحثين، ولم يتوحد العلماء في تحديد مفهوم البيئة، بل تعددت معانيها، وتباينت مفاهيمها، حسب تخصص كل باحث في كل فرع من فروع العلوم الاجتماعية المختلفة، حيث يعرفها كل منهم في ضوء رؤيته و تخصصه.

والبيئة مصطلح أو لفظ شائع الاستخدام في الأوساط العلمية في الوقت الراهن، كما يشيع استخدامه عند عامة الناس، وفي ضوء تلك العمومية نجد تعريفات عدة تختلف باختلاف علاقة الإنسان بالبيئة، فالمدرسة بيئة والجامعة بيئة والمصنع بيئة والمجتمع بيئة والعالم كله بيئة<sup>7</sup> .

ويتضح المعنى اللغوي للبيئة، أنها المكان أو المنزل الذي يُتخذ مقراً للإقامة والحياة فيه بكل ما فيه من الظروف، وتمثل البيئة بهذا المفهوم، حيزاً جغرافياً ذات خصائص معينة، من مناخ و تضاريس و مجموعة من الموارد الموفرة للكائن الحي<sup>8</sup> .

<sup>5</sup> . سين عبد الحميد رشوان : البيئة والمجتمع، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2006م، ص87.

<sup>6</sup> . المرجع السابق : ص23.

<sup>7</sup> . عبد القادر محمد أبو العال : البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي، منظمة المؤتمر الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة التاسعة عشر، امارة الشارقة، 2009م، ص1.

<sup>8</sup> . حسام محمد مازن : التربية البيئية، دار الفجر، القاهرة، ط1، 2007م، ص3 . هناك من يرى أن البيئة لغة مشتقة من بوا وهي في اللغة تأتي بعدة معاني منها : المنزل أو الموضع، فيقال تبوأ منزل أي نزلت، وكذلك الاعتراف، يقال باء بحقه أي اعترف به، والزواج ومنه قوله صل الله عليه وسلم: "من استطاع الباء فليتزوج"، وكذلك التساوي والتكافؤ، يقال باء دمه بدمه بواءً . محمد بن مكرم المصري (ابن منظور) : لسان العرب، المجلد الأول، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1988م، ص530.

وعرفت أيضاً على أنها : كل ما يحيط بالإنسان من أشياء تؤثر على الصحة، فتشمل المدينة بأكملها، مساكنها وشوارعها، وأنهارها وآبارها وشواطئها، كما تشمل أيضاً كل ما يتناوله الإنسان من طعام وشراب، وما يلبسه من ملابس، بالإضافة إلى العوامل الجوية والكيميائية وغير ذلك<sup>9</sup>.

وهي أيضاً تشكل الوسط أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان وغيره من الكائنات الحية، وهي تشكل مجموعة الظروف والعوامل التي تساعد الكائن الحي على بقائه ودوام حياته، أو هي مجموع العوامل الطبيعية والعوامل التي أوجدتها أنشطة الإنسان التي تؤثر في ترابط وثيق على التوازن البيئي، وتحدد الظروف التي يعيش فيها الإنسان بتطور المجتمع<sup>10</sup>.

ومن خلال التعريفات السابقة، يتضح أن مفهوم البيئة مفهوم واسع ومتشعب، يتحدد حسب استخدامات الكلمة في حد ذاته ضمن السياق اللغوي، ولكن المتفق عليه هو أن البيئة بمفهومها الواسع والشامل، تشمل كل ما يحيط بالإنسان، يتأثر به ويؤثر فيه، ولا يمارس حياته اليومية إلا ضمنه، كما توجد هناك بيئة طبيعية وبيئة اصطناعية من صنع الإنسان ضمن محيطه الطبيعي<sup>11</sup>.

ويمكن تصنيف البيئة التي يعيش فيها الإنسان مؤثراً ومتأثراً إلى قسمين مميزين هما :

1/ البيئة الطبيعية : ويقصد بها كل ما يحيط بالإنسان من ظواهر حية وغير حية، وليس للإنسان أي أثر في وجودها، وتتمثل هذه الظواهر أو المعطيات البيئية في البنية والتضاريس والمناخ والتربة والنباتات والحيوانات، ولا شك أن البيئة الطبيعية هذه تختلف من منطقة إلى أخرى تبعاً لنوعية المعطيات المكونة لها<sup>12</sup>.

<sup>9</sup> . زين الدين عبد القدوس : البيئة والانسان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1991م، ص35، كذا راجع حسن الجوهري : البيئة والمجتمع، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص41، كذا راجع فرانك سيلمان ر ونانسي وايتنغ | : علم وتقانة البيئة، ترجمة الصديق عمر الصديق، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2012م، ص32.

<sup>10</sup> . عبد الفتاح القصاص : الانسان والبيئة الشعبية والقومية، اليونيسكو، القاهرة، 1980م، ص33.

<sup>11</sup> . خالد عبد الرزاق محمد علي : المردود البيئي للمشروعات الصناعية وأثرها على البيئة والتنمية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، 2011م، ص89.

<sup>12</sup> . حسن عبد اللطيف ناشي الشحات : الملوثات الكيميائية وأثرها على الصحة والبيئة \_ المشكلة والحل، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2011م، ص14.

2/ البيئة البشرية : ويقصد بها الإنسان وانجازاته التي أوجدها داخل بيئته الطبيعية، بحيث أصبحت هذه المعطيات البشرية المتباينة مجالاً لتقسيم البيئة البشرية إلى أنماط وأنواع مختلفة، فالإنسان من حيث هو ظاهرة بشرية يتفاوت مع بيئة لأخرى من حيث عدده وكثافته وسلالته ودرجة تحضره وتفوقه العلمي، مما يؤدي إلى تباين البيئات البشرية<sup>13</sup> .

ويتضح مما سبق أن البيئة بمفهومها الشامل تتضمن :

-بعد زمني وآخر مكاني .

-مكوناتها حية وغير حية .

-إطار تنظم فيه هذه المكونات وتتفاعل بشكل متوازن من خلال البعدين الزمني والمكاني .

-دور الانسان وتأثيره فيها، وتأثره بها لكونه مكوناً من هذه المكونات .

-عوامل اجتماعية وتكنولوجية واقتصادية وطبيعية وثقافية اعل مع بعضها البعض وتؤثر

على عناصر البيئة .

ونشير ختاماً في هذا المجال، إلى أن الله سبحانه وتعالى نبه في كثير من الآيات في القرآن الكريم، على أن البيئة مليئة بالآيات الدالة عليه، قال تعالى : "إن في السموات والأرض آيات للمؤمنين، وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون"<sup>14</sup>، وقال تعالى : "وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا"<sup>15</sup>، ومن هنا فإن حماية البيئة هي حماية لآيات الله عز وجل، وتدمير البيئة هو تدمير لها .

ثانياً : بيئة الجزيرة العربية قبيل الإسلام :

تقع شبه الجزيرة العربية في القسم الجنوبي الغربي من القارة الآسيوية، وسط قارات العالم القديم، وهي تمثل قلب المشرق العربي، الواقع بين دائرتي عرض 12,50 - 30 درجة شمالاً

<sup>13</sup> . أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م، ص126.

<sup>14</sup> . سورة الجاثية : آية رقم 3\_5.

<sup>15</sup> . سورة يس : آية رقم 33.

وبين 30-12 درجة جنوباً على شكل مستطيل، وبين خطي طول 34-60 شرق خط جرينتش وتعد شبه الجزيرة العربية المترامية الأطراف أكبر أشباه الجزر في العالم من حيث المساحة<sup>16</sup> . وتحيط المياه بشبه الجزيرة العربية من جوانبها الثلاثة، وعلى الرغم من تلك المسطحات المائية الممتدة التي تحيط بها، فإن ذلك لم يخفف من حدة حرارتها القاسية، ومن حيث حدودها الجغرافية فيحدها من الشرق الخليج العربي، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الشمال والشمال الشرقي فهي محاطة بالمنطقة الصحراوية الشاسعة التي تمتد من وادي الرافدين .

ويتأكد من خلال موقع شبه الجزيرة العربية وحدودها على دور الوسيط التي قامت به من خلال موقعها المتوسط بين قارات العالم القديم، وبالتالي دور الوساطة في النقل الذي قام به سكان شبه الجزيرة العربية<sup>17</sup> .

تختلف الجزيرة العربية من حيث طبيعتها باختلاف أجزائها، فالقسم الأكبر منها بادية تتخللها واحات وأجواء أو أغوار تتجمع فيها مياه الأمطار أو تتسرب في الأرض، أما الوديان فقليلة وتقع في أطراف شبه الجزيرة العربية<sup>18</sup> ، وقد كان ذلك الاختلاف الواضح في طبيعة بلاد العرب الجغرافية سبباً في وجود نوعين من السكان، هما البدو ويعرفون أيضاً باسم الأعراب، ويسكنون في البادية، وهم أهل الوبر، والنوع الثاني من السكان هم الحضر، ويسكنون المدن . تمثل الصحاري القسم الأعظم من الجزيرة العربية<sup>19</sup> ، وهي تتنوع وتختلف من موضع لآخر وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

<sup>16</sup> . فتحي محمد أبو عيانة : دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1994م، ص95.  
<sup>17</sup> . محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب (جغرافية المملكة العربية السعودية)، ج1، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط1، 1406هـ/1986م، ص5-7.

<sup>18</sup> فتحي أبو عيانة : المرجع السابق، ص39.

<sup>19</sup> . دلت الدراسات الأثرية لعصور ما قبل التاريخ للجزيرة العربية أن هذه الأراضي كانت في عصر البلايستوسين Pleistocene (هو حقبة زمنية بدأت قبل 2,588 مليون سنة وامتدت حتى سنة 11 ألف) أراضي خصبة جداً كثيرة المياه، تتساقط عليها الأمطار بغزارة في جميع فصول السنة، وذات غابات كثيرة وأشجار ضخمة، ولكن بعد ذلك ولتقلبات مناخية تشكلت الصحاري في الجزيرة العربية من تفتت للأحجار الرملية، بتأثير الرياح والجفاف فيها . جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، دار الساقى، بيروت، ط4، 1422هـ/2001م، ص154 وكذلك ص240.

1/ الحرات أو الحرار : وهي أرض ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار، وتكونت هذه الحرار بفعل البراكين، بل هي أثر من آثار ما تخرجه البراكين من جوفها<sup>20</sup> .

وتدل الحرات على أن شبه الجزيرة العربية قد عرفت ظاهرة البراكين منذ عصور سحيقة، والتي استمرت على فترات متقطعة<sup>21</sup>، وتتمركز الحرات على امتداد المنطقة الغربية من الجنوب قرب باب المنذب، ومن الشمال قرب خليج العقبة، كما توجد في بعض المناطق الوسطى<sup>22</sup>، وقد حصر أحد العلماء عدد هذه الحرار إلى تسعة وعشرين حرة، ثم أضاف إليها الرحالة عدد آخر<sup>23</sup> .

اشتهرت بعض مناطق الحرار منذ القدم بالخصب والنماء، وبكثرة المياه فيها، خاصة حرار الحجاز التي استغلت استغلالاً جيداً مثل حرة خيبر وحرة النار وحرة فدك<sup>24</sup> .

2/ الدهناء أو صحراء الجنوب : والدهناء تعني في اللغة الأرض الحمراء نسبةً إلى نبتة الدهناء، وهي عشبة حمراء لها ورق عراض يُدبغ به<sup>25</sup>، والدهناء تعني في اللغة الأرض الحمراء نسبةً إلى نبتة الدهناء، وهي عشبة حمراء لها ورق عراض يدبغ به<sup>26</sup>، وهي تشغل مساحة كبيرة من الجزيرة العربية، فهي تمتد من صحراء النفوذ، المسماة قديماً بادية السماوة، شمالاً إلا حضرموت في الجنوب، ومن اليمن غرباً إلى عمان شرقاً، وتقدر مساحتها بخمسين ألف ميل مربع، وتخترقها تلال رملية أو كتبان تتموج مع الريح وتنتقل معها عند الهبوب، وتعرف الأجزاء الجنوبية منها في الوقت الحاضر باسم الربع الخالي، لخلوها من الناس، أما القسم الغربي من الدهناء فيطلق عليه اسم الأحقاف، وأرض الدهناء على الرغم من جفافها وخلوها من الماء، كانت إذا سقطت عليها الأمطار الموسمية نبتت فيها الأعشاب مدة ثلاثة أشهر<sup>27</sup>، ويبدو أن صحراء الدهناء كانت أقل

<sup>20</sup> . ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج2، ص245.

<sup>21</sup> . محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1980م، ص84.

<sup>22</sup> . عبد الرحمن صادق الشريف : جغرافية المملكة العربية السعودية، ج1، دار المريخ، الرياض، ط1، 1397هـ/1977م، ص42.

<sup>23</sup> . جواد علي : المرجع السابق، ج1، ص115 وكذا ص166.

<sup>24</sup> . توفيق برو : تاريخ العرب القديم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1982م، ص28.

<sup>25</sup> . ابن منظور : لسان العرب، ج13، ص160.

<sup>26</sup> . المصدر السابق : لسان العرب، ج13، ص160 .

<sup>27</sup> . جواد علي : المرجع السابق، ج1، ص145.

إققراراً خلال فترات طويلة سابقة، إذ بها رواسب من النوع الذي يوجد في قاع البحر، ويدل ذلك على أن مياه الخليج العربي كانت تتخلل هذه المنطقة، من خلال فرع صغير كان يمتد إلى جنوب قطر حالياً، ومن ثم فكانت هذه المنطقة مجال للحياة والسكن لفترة طويلة<sup>28</sup>.

3/ صحراء النفوذ أو صحراء نجد أو إيريموس عند الكلاسيكيين : تقع في الشمال والشمال الغربي من الجزيرة العربية، وتمتاز بكثبانها الرملية الناعمة اللينة التي يصعب على المرء أن يسير فيها، إذ يبلغ ارتفاع بعض هذه الكثبان نحو 150متراً، وتمتد صحراء النفوذ على مساحة كبيرة من الأرض، حيث تبلغ مساحتها 56,320 كم مربع، ويبلغ طولها من واحة تيماء إلى الشرق نحو 450 كيلو متر، وعرضها من واحة الجوف إلى جبل شمر بنجد إلى 250 كيلو متر، وهي مجوف واسع مملوء بالرمال المتحركة، ومحصورة بين مناطق صخرية صلبة هي مناطق الهضاب<sup>29</sup>، وكانت صحراء النفوذ الأرض التي يسكنها البدو الرحل، الذين كانوا يمثلون على الدوام مصدر القلاقل والاضطرابات للممالك التي تسيطر على منطقة الهلال الخصيب<sup>30</sup>، وعلى الرغم من قسوة المساحة الصحراوية في هذه المنطقة، إلا أنها كانت ولا تزال تتعرض لفترات ممطرة تُكسى أجزاء صغيرة منها باللون الأخضر، ولهذا فصحراء النفوذ هي أقل فُحولة وقسوة من بقية الصحاري العربية<sup>31</sup>.

وتقسم الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام كبرى هي :

1/ تهامة : تشمل المنطقة الساحلية الموازية لامتداد البحر الأحمر من اليمن جنوباً إلى العقبة شمالاً، ويحجزها عن داخل شبه الجزيرة سلسلة جبال السراة أعظم جبال العرب، وقد سميت تهامة بذلك الاسم من التهم، وهو شدة الحر وركود الرياح، لشدة حرها وركود ريحها، وقيل سميت كذلك لتغير هوائها<sup>32</sup>.

<sup>28</sup> . المرجع السابق : ج1، ص145 وكذا ص152.  
<sup>29</sup> . مجموعة مؤلفين : الموسوعة العربية العالمية، ج9، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1419هـ/1999م، ص95.

<sup>30</sup> . جواد علي : المرجع السابق، ج1، ص152.

<sup>31</sup> . فتحي أبو عيانة : المرجع السابق، ص132.

<sup>32</sup> . عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز، دار مكة، مكة المكرمة، ط2، 1431هـ/2010م، ص283.

2/ نجد : هي الهضبة الوسطى في الجزيرة العربية، وتقع بين بادية السماوة في الشمال والدهناء في الجنوب، وأطراف العراق شرقاً والحجاز غرباً، وهي أوسع أقاليم جزيرة العرب، وتتخللها أودية كثيرة منها وادي الرمة وروافده، ووادي حنيفة، وكان يسمى فلجاً، ووادي عاقل، لذلك كانت نجد أطيب أراضي الجزيرة العربية، فترنم الشعراء برباها ورياضها، ويقسمها العلماء العرب إلى قسمين : نجد العالية ناحية الحجاز وتهامة، ونجد السافلة ناحية العراق، وقد جاء هذا التقسيم نتيجة تكوينها الطبيعي، والذي يبدأ مرتفعاً في الغرب ثم ينحدر حتى يصل إلى منطقة العروض في الشرق<sup>33</sup> .

3/ الحجاز : هي ما بين تهامة ونجد، وهو جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام، وسمي بهذا الاسم لأنه يحجز بين نجد وتهامة، وامتداده بينهما بحذاء الساحل<sup>34</sup>، ويتخلل هذه المنطقة العديد من الأودية كوادي نخال ووادي القرى، وفيها العديد من العيون المائية<sup>35</sup>، وكان يمر بها طريق القوافل التجارية الرئيس قبل الإسلام<sup>36</sup> .

4/ العروض : تشمل اليمامة والبحرين وما والاهما، وقد سميت عروضاً لأنها تعترض بين اليمن ونجد والعراق<sup>37</sup>، ويتألف هذا القسم من شبه الجزيرة العربية من صحاري وسهول ساحلية ترتفع في الجهات الغربية عن ساحل البحر، وبها عدد قليل من الواحات وكذلك العيون التي تصل إلى نحو أربعين عيناً<sup>38</sup> .

5/ اليمن : هي منطقة واسعة تمتد حدودها من تهامة إلى العروض، وتقع في الركن الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية، وتخترقها سلسلة جبال السراة حتى البحر الأحمر عند حدودها الجنوبية، ويتخلل المنطقة عدد من الوديان الجافة تتساب فيها المياه في مواسم الأمطار، وربما

<sup>33</sup> . عاتق البلادي : معجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، دار مكة، مكة المكرمة، ط1، 1402هـ/1982م، ص313.  
<sup>34</sup> . أمين الريحاني : جغرافية شبه جزيرة العرب، مراجعة أحمد علي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ط2، 1384هـ/1964م، ص129-131.

<sup>35</sup> . جواد علي : المرجع السابق، ج1، ص167.

<sup>36</sup> . سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، المكتبة الهاشمية، دمشق، د:ط، 1937م، ص54.

<sup>37</sup> . ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج، ص123.

<sup>38</sup> . حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط3، 1375هـ/1956م، ص68.

كانت هذه بقايا أنهار قديمة ثم جفت على مر القرون<sup>39</sup>، وسميت بذلك الاسم لتيامن العرب إليها، لأنها أيمن الأرض، والأرجح أنها سميت اليمن من يمانات الواردة في نص يرجع إلى الملك شمر يهرعش، ولعل يمانات من اليمن والخير، لما أودع الله فيها من البركة، ولذلك عرفت عند العرب بالخضراء، لكثرة مزارعها ونخيلها، وأشجارها وثمارها، كما عرفت عند الإغريق ببلاد العرب السعيدة<sup>40</sup>.

### ثالثاً : علاقة بيئة الجزيرة العربية بالإنسان :

إن العلاقة بن الإنسان والبيئة ليست بجديدة، لأن البيئة في أبسط تعريف لها: هي كل ما يحيط بالإنسان، أي الإطار الذي يمارس فيه الإنسان حياته وأنشطته المختلفة، فهي تشكل الأرض التي يعيش عليها، والهواء الذي يتنفسه، والماء الذي هو أصل كل شيء حي، منذ أن خلق الله الإنسان والأرض على صورتها الفطرية، فقضية الإنسان والبيئة قضية معروفة منذ بدء الخليقة.

ومنذ أن خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، وهو يحاول جاهداً أن يستغل موارد بيئته بطريقة أو بأخرى، لإشباع حاجاته الأساسية في مرحلة أولى، والكمالية في مرحلة تالية والمنتبع لتطور هذه العلاقة بين الإنسان وبيئته على المدى الزمني التطور التاريخي - وعلى المدى الأفقي - اختلاف البيئات وتباينها من منطقة لأخرى-، يجد أنها علاقة متباينة يحكمها بالدرجة الأولى طبيعة البيئة من ناحية، وقدرات وإمكانات الإنسان من ناحية أخرى، وقد استحوذت محاولة تفسير هذه العلاقة، على اهتمام الكثير من الباحثين الذين اجتهدوا في تقييم هذه العلاقة، وليس ثمة شك أن اجماع الرأي في مثل هذه القضية أمر غير وارد، فقد اختلفت الآراء<sup>41</sup>.

للبيئة الطبيعية في الجزيرة العربية أثراً كبيراً في تحديد خيرات البشر، وفي تكوين سماتهم، وعاداتهم، ونوعية انتاجهم الزراعي والحيواني والصناعي، ثم في تحديد غناهم وفقدهم، وعليها

<sup>39</sup> . جواد علي : المرجع السابق، ج1، ص171-174.

<sup>40</sup> . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999م، ص71.

<sup>41</sup> . أياد عاشور ومحسن عبد علي : التربية البيئية، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1، 2010م، ص44.

يتوقف النشاط الاقتصادي والتجاري خاصةً، فالذين يعيشون في بيئة صحراوية يختلفون عن أولئك الذين يعيشون في بيئة زراعية أو ساحلية وهكذا<sup>42</sup> .

فالمناخ من العوامل الطبيعية التي تؤثر على النشاط البشري وازدهاره، لأنه يؤثر في مجموعة عوامل مرتبطة بالإنسان، مثل النشاط الزراعي بشقيه الزراعي والحيواني، كما يؤثر المناخ على صحة الإنسان، وعلى الحياة الاجتماعية، وكثافة السكان والصناعة وقدرة الإنسان على العمل (الخمول والنشاط)<sup>43</sup> .

يؤثر المناخ في الحياة النباتية والحيوانية، لأن لكل نوع من النباتات إذا كانت طبيعية أو مزروعة لها ظروف لازمة لنموها، من حيث درجة الحرارة والأمطار، وبالتالي نوع المناخ هو الذي يحدد إلى حد كبير نوع المحاصيل، التي يمكن أن يتخصص فيها إقليم ما، بالرغم أن الإنسان استطاع أن يغير بعض الشيء، وأدخل نظام الري في المناطق التي تقل فيها الأمطار في المناطق الجافة وشبه الجافة، وأدخل محاصيل جديدة تتلاءم مع المناخ إلى حد ما، كما استطاع الإنسان استصلاح الصحاري، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الروماني ديودوروس الصقلي عن جنوب شبه الجزيرة العربية تحديداً : "إن الأرض الواقعة في الناحية الجنوبية تحيا معتمدة على ما تمدها به الشمس من قوة فهذه تعد أهم مصدر للحياة ولهذا السبب تساعد على تربية سلالات رائعة من حيوانات كثيرة، ... ولا تتوالد في هذه البلدان الحيوانات التي تتسم باختلافها عن بعضها بعضاً في الشكل فقط بفضل التأثير المساعد لطاقة الشمس وقوتها"<sup>44</sup> .

يلعب المناخ في الجزيرة العربية كذلك دور في تحديد طرق النقل التي يسلكها المسافرون والسلع التجارية في الفصول المختلفة، كما أن الأمطار في كثير من المناطق تعرقل الحركة كما يؤثر المناخ في حياة الانسان الاجتماعية، حيث يحدد كمية ونوع الملابس، ففي المناطق المرتفعة الحرارة يستخدم الإنسان ملابس قليلة وخفيفة، وغالباً لونها إما أبيض أو يميل للبياض، وفي المناطق الباردة يحتاج الإنسان إلى الملابس الثقيلة لوقاية الجسم من البرودة، وذلك لحفظ

<sup>42</sup> . فتحي أبو عيانة : المرجع السابق، ص36.

<sup>43</sup> . أحمد أمين : فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1969م، ص48.

<sup>44</sup> . رحمة السناني : المرجع السابق، ص67-68.

حرارة الجسم، كذلك يؤثر المناخ على نوع الطعام في المناطق المرتفعة الحرارة، حيث يقلل الإنسان من أكل المواد الغذائية التي تحتوي على الدهون، ويتناول المشروبات الباردة بدلاً عن الساخنة، وفي المناطق الباردة يحدث العكس، كما يؤثر المناخ على شكل بناء المنازل وأسطحها .

ويؤثر المناخ على نشاط المجتمع، فالحرارة العالية والرطوبة الشديدة لا تساعدان على العمل، وبالتالي يختلف نشاط الشعوب باختلاف الأقاليم المناخية التي يعيشون فيها، ولا يمكن تجاهل أثر المناخ البارد نوعاً ما في النشاط الفكري والجسماني، وأثر المناخ الحار الرطب في الخمول وقلة النشاط الذهني والجسماني .

وللمناخ تأثير كبير في الكثافة السكانية، فعرب الجزيرة يفضلون السكن في الجهات المعتدلة المناخ، الوفيرة الأمطار، ويتجنب المناطق الجافة المرتفعة الحرارة، ونلاحظ هنالك تناسب طردي ما بين المناخ والكثافة السكانية .

ومظاهر السطح في الجزيرة العربية من العوامل المؤثرة في النشاط البشري، وبالتالي في العمران، حيث تتميز بتنوع تضاريسها بين جبال ووديان وهضاب وسهول وصحاري<sup>45</sup>، فنجد الجبال في شبه الجزيرة العربية أكثر امتداداً وارتفاعاً من الشرق والشمال والغرب، وهي عماد حياة العرب الباحثين عن الأمن والاستقرار، والهاريين من قسوة الصحاري والجفاف، واعتداءات القبائل، مثل جبال السراة وجبال تهامة والمرتفعات في اليمن وعمان<sup>46</sup>، ومثل هذه الأهمية يُقال عن الأودية، التي كانت عميقة الفور، شديدة الانحدار، ولكنها كانت خير نافع للعرب بسبب قلة الأمطار، وقد اتخذ مجراها كطرق للقوافل التجارية القديمة في جنوب الجزيرة العربية خاصة، حيث توفرت خدمات الطريق، بفضل التجمعات السكانية الموجودة على ضفافها<sup>47</sup> .

<sup>45</sup> . ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج3، ص204-205.

<sup>46</sup> . للمزيد راجع محمود شكري الأوسي : تاريخ نجد تحقيق محمد بهجت، دار الوراق، بغداد، ط1، 2007م.

<sup>47</sup> . للمزيد راجع عاتق غيث البلادي : بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات، مكة، ط1، 1404هـ/1984م.

وعموماً تعتبر المناطق السهلية ذات التربة الخصبة والمناخ المعتدل، أكثر الجهات ملائمة للنشاط البشري، وبالتالي تركيزهم، كما أن السهل المستوي يساعد على النقل، وذلك بإنشاء شبكات الطرق المختلفة .

وتختلف المناطق المرتفعة في جذبها للسكان من حيث موقعها بالنسبة لدائرة العرض، ومن حيث ظروف المناخ السائدة بها، كما أن الحياة النباتية تختلف حسب الارتفاع<sup>48</sup> .

وعليه يمكن القول أن سكان الجزيرة العربية بصفة عامة وأمام هذه الطبيعة القاسية والبيئة الصعبة، فُرض عليهم تقديس القوة والبسالة، وهو الذي جعلها مبدأ من مبادئهم<sup>49</sup>، كما اكتسبتهم هذه البيئة طبيعة مختلفة وعقلية قوية، ومفكرة جعلتهم يتمتعون ببعض الصفات، التي ميزتهم عن غيرهم من بني البشر، كالقوة والشجاعة على العيش في هذه البيئة الصعبة والقاتلة والموحشة، مع رفاهة الحس وحسن الخلق<sup>50</sup>، وكذلك المعرفة بالطرق والقدرة على اقتفاء الأثر بحثاً عن المياه أو الطرائد<sup>51</sup>، وكذلك القدرة على التحكم بطرق التجارة البرية، والنقل عبر الصحراء لمسافات طويلة<sup>52</sup>، والاعتماد على الرعي بتربية الإبل والمواشي اعتماداً كاملاً<sup>53</sup>.

#### رابعاً : أثر البيئة على السكان :

كان لتنوع وتباين البيئة الطبيعية للجزيرة العربية أثر على سكانها، فقد أملت عليهم طبيعة بلادهم نمطاً حضارياً يتلاءم معها، فسكان الواحات<sup>54</sup> والسهول وسفوح الجبال<sup>55</sup> وبطون

48 . جواد علي : المرجع السابق، ج1، ص271.

49 . محمد النويهي : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، ج1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2018م، ص236.

50 . صالح مقفودة : القيم الأخلاقية للعربي من خلال الشعر الجاهلي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، العدد الأول، 2001م، ص184.

51 . عبد الملك محمد النيسابوري الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ص119.

52 . مسفر الخنعمي : المرجع السابق، ص124.

53 . رحمة السناني : المرجع السابق، ص64.

54 . الواحات مناطق قابلة للزراعة، تكون عادةً وسط منطقة صحراوية، وهي تختلف عن بعضها البعض في تكوينها الطبيعي ونوعية التربة، وسعة مساحتها وفي درجة الخصوبة، إلا أنها تشترك في خاصية واحدة من خصائصها، وهي كونها تشذ عما حولها من الأراضي بخضراء غزيرة المياه وفيرة المراعي، وهي كثيرة ومنتشرة في أنحاء مختلفة من الجزيرة، وتقع أعداد منها على أطراف الأودية أو بالقرب منها، وقد تكون في مصبات الأودية حيث يبلغ مجرى الوادي أقصى اتساعه .

ومعظم مياه الواحات جوفية، أما على شكل عيون وينابيع أو آبار محفورة، وأهم هذه الواحات : واحة دومة الجندل، واحة تيماء، واحة حقل، وعلى ساحل البحر الأحمر يوجد العديد من الواحات مثل : واحة البدع، واحة شواقة والصورة

الأودية<sup>56</sup> اشتغلوا بالزراعة، حيث توفرت فيها عوامل ساعدتهم على الإقامة فيها، كتوفر المياه والتربة الصالحة للزراعة، ليس فقط في هذه الفترة بل منذ زمن بعيد يعود للألف الثالثة قبل الميلاد، حيث قامات في ماجان جنوب شرق الجزيرة العربية مجتمعات زراعية، عرفت زراعة الحبوب، وفي شمال شرق الجزيرة العربية منطقة ديلمون، ظهرت مجتمعات زراعية منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، بلغت درجة عالية في فترة بربارا، واستمرت حتى الألف الأولى قبل الميلاد . وفي جنوب غرب الجزيرة العربية اشتهرت المنطقة كذلك بالزراعة، منذ الألف الأولى قبل الميلاد، كما ظهرت مجتمعات زراعية في أجزاء مختلفة من الجزيرة العربية، لكنها اندثرت وهجرت مناطقها وتحولت إلى صحاري لأسباب قد تعود لتغير المناخ، أو لأسباب سياسية، ولم يبق في هذه المنطقة سوى آثار شبكات الري وسدودها لتشهد بحضارة الجزيرة العربية الزراعية . لقد أثرت هذه البيئة الزراعية على سكانها بشكل واضح، فارتبطوا بأرضهم وتعلقوا بها، ولذلك نجدهم يهتمون بالفلاحة، واختيار التربة الجيدة واستصلاحها، والبذور المناسبة للنمو، وبزراعة كل ما من شأنه أن يدرّ عليهم المال، في التجارة داخل الجزيرة العربية أو خارجها، كما اهتموا ببناء السدود والقنوات للسيطرة على المياه والمحافظة عليها.

أقيمت السدود في أماكن مناسبة من مجاري الأودية، للسيطرة على مياه السيول، خاصة في الأودية الكبيرة، وقد عُثر على العديد منها في معظم أنحاء الجزيرة العربية، خاصة في الأجزاء الغربية والجنوبية منها، والسدود التي أقامها سكان الحاضرة في الجزيرة العربية أنواع، منها سدود

---

وعيوننة، وواحة ينبع النخل، وواحات بئرب، وواحة تربة والخرمة، وواحة رنية وبيشة، ونجران، وواحة شمر في وسط الجزيرة العربية، وواحة هجر في شرقها، وواحة جبرين وقطر، وواحة كاظمة وغيرها .  
55 . قامت الزراعة في سفوح المرتفعات وأوديتها مثل القيعان المنبسطة في اتجاه سلسلة السراة والمنحدرات المتوسطة والقليلة الارتفاع، فقد استغل سكانها المناطق القابلة للزراعة وحولوها إلى حقول متدرجة، وبذلك زرعو أكبر رقعة ممكنة من الأرض، كما استفادوا من مياه الأمطار الساقطة عليها عن طريق إقامة هذه المدرجات، وبالإضافة إلى ذلك كان إقامة هذه المدرجات في المرتفعات ميزة هامة، إذ خففت من أخطار المياه المندفعة في مواسم الأمطار، وينتشر هذا النظام بصفة خاصة في جنوب الجزيرة العربية، مثل إقليم ظفار وغيره .  
56 . تحتوي بيئة الجزيرة العربية على عدد كبير من الأودية التي تختلف سعتها وأطوالها، وكانت معظمها مواطن للزراعة والاستيطان بالرغم من إحاطتها بمناطق صحراوية أو اختراقها لمرتفعات جبلية منذ زمن بعيد، وقد برع ساكنوها في استخدام مياه الأمطار فيها في الري، وتظم الجزيرة العربية العديد من الأودية التي قد يتجاوز عرضها عشرات الكيلومترات، مثل وادي حضرموت وبيحان ووادي القرى ووادي حنيفة ووادي الدواسر ووادي السرحان وغيرها، وقد ظهرت على جوانب هذه الأودية وأطرافها ومصباتها المستوطنات الزراعية، بل إن دول الجزيرة العربية نشأت بجانب هذه الأودية .

بسيطة مؤقتة تُقام في مواسم الأمطار فقط، ومنها سدود دائمة تستمر سنين عديدة، وأهم وأشهر السدود في الجزيرة العربية سد وادي نجران، وسد مأرب، وسد شرجان في حضر موت، وسد قصر البننت في خيبر، وسد وادي المعتدل في العلا، وغيرها<sup>57</sup> .

كما استخدموا وسيلة أخرى لحفظ مياه الأمطار، وذلك بحفر الصهاريج العميقة في البيوت وفي أماكن أخرى، ليسيل إليها الماء النازل، وسلطوا مياه الميازيب على أماكن تسيل منها إلى هذه الصهاريج، ولا تزال بعض الميازيب القديمة في حالة جيدة، تستعمل في الأغراض التي صنعت من أجلها، وهي مصنوعة من الصخور، وبعضها من المرمر الأبيض الجميل، وبعضها مفتوح على هيئة حوض، وأكثره من النوع المغطى والمنقور في الصخر ولبعضها ممرات توصل بعضها ببعض، فتجعلها كأنها شبكة تربط مساحة واحدة تملأ بالماء تحت سطح الأرض، وجعل لهذه الصهاريج فتحات تستخرج منها المياه للإرواء<sup>58</sup> .

كما استفاد سكان الحاضرة من السباخ، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر<sup>59</sup>، وتتوزع السباخ على طول سواحل شبه الجزيرة العربية، لاسيما في شرقها بالقرب من السواحل الغربية والجنوبية للخليج العربي<sup>60</sup> .

وقد فرق البلدانون واللغويون العرب بين نوعين من السباخ، الأول السباخ الساحلية التي يندم فيها النباتات، بسبب مد البحر المالح وعرفوه باسم الناشأة، والثاني هي السباخ التي تتغذى بالمجاري المائية، وتكون بالقرب من القيعان وبطون الأودية الكبرى، حيث يسمح الغمر الفصلي لمياه الأمطار بتقليل درجة الملوحة، وبالتالي نمو بعض أنواع النباتات خاصة تلك التي تسميها العرب الحموض<sup>61</sup> .

<sup>57</sup> . محمود جلال العلامات : السبنيون وسد مأرب، مطبوعات تهامة، جدة، ط1، 1404هـ/1984م، ص108.

<sup>58</sup> جواد علي : المرجع السابق، ج13، ص168.

<sup>59</sup> . محمد بن محمد المرتضى اليمني (الزبيدي) : تاج العروس من جواهر القاموس، ج7، تحقيق عبد الستار أحمد الفراج، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1365هـ/1945م، ص269.

<sup>60</sup> . عبد الله يوسف الغنيم وآخرون : أشكال سطح الأرض المتأثرة بالرياح في شبه الجزيرة العربية، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، ط1، 1401هـ/1981م، ص29.

<sup>61</sup> . المرجع السابق : ص31.

كذلك استفادوا من الروضات، وهي أرض ذات مياه وأشجار وأزهار طيبة<sup>62</sup>، ويكثر في الروضات النبات الملتف والعشب الكثير، حتى كانت العرب تصفها بالحديقة، وميزة الروضة هو غزارة مائها، فهي تسيل مياه منها عن طريق جداول إلى روضة أخرى أو واد، ويسمى ذلك الجدول عند العرب مذنب الروضة، ولهذا نجد أن أكثر الآبار إنما تحفر في أماكن الرياض، فتزدهر الزراعة وتنشأ القرى والبلدات<sup>63</sup>.

كما أهتم سكان الحاضرة باستخدام نظام القنوات، كأحد أنظمة الري في الجزيرة العربية، ويقوم هذا النظام على إجراء الماء في مجاري محفورة أو مبنية قد تطول أو تقصر حسب الحاجة إليها، وهي على نوعين : قنوات سطحية وقنوات جوفية، للحيلولة دون التعرض للتبخر الزائد للمياه المنقولة، وكانت تبنى في الغالب بالطين، وتُبطن بالآجر والحجارة، وهي التي تعرف في نظام الري والصرف المائي بالأفلاج في حال كانت جوفية، وقد ورد ذكر الفلج في النقوش المسندية الجنوبية في كلمة (ف . ل . ج)، وانتشر نظام الأفلاج خاصة في ماجان (عُمان حالياً)، وعرف باسم الفالنج، كما عثر على شبكات منه في وادي فاطمة بالحجاز، وفي اليمن، ويعتقد أن أصل هذه الكلمة هو سامي ومعناها تقسيم الماء<sup>64</sup>.

وبعد استخدام الجمل تحولت تلك الواحات إلى مراكز تجارية، ارتبطت ببعضها البعض وأصبحت بمثابة محطات استراحة في طرق التجارة، وبذلك أصبحوا تجاراً ونقلوا تجارة إلى جانب كونهم زراعاً، فنقلوا سلع بلادهم والسلع الشرقية التي كانت تصل إليها عن طريق أحد الموانئ إلى الأسواق العالمية خارج الجزيرة، وتحسنت بذلك أحوال معيشتهم وانشأوا علاقات تجارية مع جيرانهم، وتدرجت حضارتهم من حضارة تعتمد على الزراعة في أساسها، إلى حضارة تقوم على الزراعة والتجارة معاً .

حرص سكان الحاضرة في الجزيرة العربية على الاستقرار، ولذلك تغننوا في بناء المنازل، مما هو موجود في بيئتهم، وهي تتفاوت بالطبع منازل ودرجات أصحابها، فقد يكون من خيمة أو

<sup>62</sup> . الزبيدي : تاج العروس، ج18، ص368.

<sup>63</sup> . ابن منظور : لسان العرب، ج1، ص392.

<sup>64</sup> . إبراهيم بن ناصر البريهي : الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند الجنوبي، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض، ط1، 1421هـ/2001م، ص88 وما بعدها .

من أغصان شجر وعيدان وجريد، وقيل البيت يعمل من الخشب، وقد يكون من طين، ويسقف بجريد أو بأغصان أو بحصير يطين أيضاً، ويختلف حجم مثل هذا البيت باختلاف حجم العائلة، وقد يبني البيت باللبن وهو الغالب، وتكون حالة أصحابها أحسن من حالة أصحاب بيوت الطين كانت منازل بعض سكان الحاضرة في الجزيرة العربية، تتكون من طابقين، طابق أرضي وطابق علوي، كسكان يثرب مثلاً، وكانوا يسكنون الطابقين، ولعلمهم كانوا يودعون ماشيتهم ودوابهم الطابق الأرضي، أو في مواضع خاصة بها ملحقة بهذا الطابق .

كما اهتموا ببناء المعابد والمقابر والسوق وغيره، وعمل بعض ابناء الأسر في الرعي، وخاصة الأغنام والأبقار والخيول .

تميزت منازل أثرياء الحاضرة في الجزيرة العربية عن غيرهم، بمساحتها الواسعة، وتعدد غرفها وأجنحتها، وللدار بابان متقابلان أحدهما للدخول وآخر للخروج، وتتميز وبخدمها وعبدها وقيانها، وباقتناء الأثاث الفاخر، وكل وسائل الراحة المتوفرة بالقياس إلى ذلك العهد، فامتلكوا أنية من الذهب والفضة، وشربوا في كؤوس غالية، وتفننوا في مآكلهم، وقد استحضروا لذلك طبّاخين من خارج الجزيرة العربية، ليطبخوا لهم أطعمة غريبة أعجمية، وممن اشتهر بذلك عبد الله بن جدعان الذي كان من أثرياء قریش<sup>65</sup> .

أما منازل العامة فإنها لم تكن بمثل منازل الأثرياء في المساحة، ولكنها كانت جيدة وصالحة للاستقرار والعيش، وقد بُنيت هذه المنازل من المادة الأكثر وفرةً في جبال الوادي، من الأحجار وجريد النخل وشجر الدوم وغيرها<sup>66</sup> .

كما تخذ الأثراء والعامة على السواء في غرفهم أرففاً من صفائح الحجر من أصل البناء، وتكون داخله في الجدار نفسه، وتستعمل لوضع بعض متاعهم النادر، كالتحف والأصنام

<sup>65</sup> . محمد بن حبيب بن أمية : المنمق في أخبار قریش، تصحيح وتعلق خورشيد أحمد فاروق ط1، القاهرة، 1384هـ/1964م، ص98 وما بعدها .

<sup>66</sup> . جواد علي : المرجع السابق، ج4، ص52-53.

الصغيرة التي يحتفظ بها الرجل في بيته<sup>67</sup>، وقد يكون لبعض الدور مظلات خارجية تبرز عن أصل البناء، وهي من الحجر أيضاً ليستظل بها من الشمس عند الجلوس تحتها<sup>68</sup>. ومن تأثيرات الحاضرة على سكانها كذلك، التعرف على التجارة، وعلى التعاملات النقدية، وعلى الأسواق بأنواعها، وعلى التأثيرات الحضارية، من المدن والممالك والدول المحلية والإقليمية، كما عملوا في الصناعة، خاصةً عند من توفرت المواد الأولية اللازمة، كالمعادن بأنواعها، والأحجار القابلة للنحت والتشكيل، والمواد الصلصالية، وبعض أنواع النباتات، التي استخرجت منها مواد دخلت الكثير من الصناعات المعروفة، كالدباغة والنسيج والعمود والزيوت والخمور، والثروة الحيوانية .

ومن أهم المحاصيل التي حرص سكان الحاضرة على إنتاجها، والاستفادة منها داخلياً، ومن ثم التجارة بها خارجياً، النخيل، والحبوب كالقمح والذرة والدخن والشعير، وكذلك السمسم والكتان والكروم والتين، والسدر والزنجبيل وحب الهال وقصب السكر وغيرها، وكذلك النباتات العطرية، وهي أكثر ما اشتهرت به شبه الجزيرة العربية لا سيما جنوبها في عهدها القديمة، حيث كانت صناعة الطيوب والعمود والتجارة بها من أبرز وأهم الحرف والصناعات في المنطقة قبل الإسلام، وقد نالت بسبب ذلك شهرة واسعة في العالم القديم، بسبب إنتاجها للمواد العطرية المختلفة من النباتات المتنوعة، وكسبت من وراء ذلك ثروة عظيمة جعلها تعيش في بجموحة من العيش والترف، وشكلت تلك المواد العمود الفقري لتجارتها رداً من الزمن<sup>69</sup>.

ومن المحاصيل التي حرص سكان الحاضرة على إنتاجها النباتات الدوائية التي ورد ذكرها في المصادر الكلاسيكية<sup>70</sup>، واستخدمها عرب الجزيرة في العلاج قبل الإسلام منها : القُسط والنجيل والفصفصة وشوكة المسيح والسمار والشوك العربي وغيرها<sup>71</sup>.

<sup>67</sup> . محمد بن عبد الله الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج2، تحقيق رشدي ملحس، دار الأندلس، ص200.

<sup>68</sup> . جواد علي : المرجع السابق، ج4، ص52.

<sup>69</sup> . أحمد شرف الدين : مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1404هـ، ص255.

<sup>70</sup> . زياد السلامين : بلنيوس والجزيرة العربية، إشراف وتحرير عبد الله العبد الجبار، ترجمة علي عبد المجيد، تعليق زياد السلامين، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ط1، 1439هـ/2017م، ص196.

سخر سكان الحاضرة في الجزيرة العربية ما وجدوه في بيئتهم الطبيعية من موارد نباتية دوائية، واستخدموها لأغراض العلاج وال مداوة، واستخلاص العقاقير ذات الطابع الطبي مثل نباتات الإثل والضررو والمر واللبان والبلسم والقطن وغيرها<sup>72</sup>.

كما استعمل سكان الحاضرة أجزاء متنوعة من أشجار بلادهم لأغراض مفيدة، وهي الجذور والجذوع واللحاء والعصارة والصمغ والخشب والبراعم والزهرات والأوراق والثمار<sup>73</sup>.

ربح سكان هذه البيئة من خلال التجارة أموالاً طائلة، يقول المؤرخ الطبيعي والفيلسوف اليوناني ثيوفراستوس (372-287ق.م) "كل النباتات العطرية التي هي أكثر تميزاً وأقوى عطراً تأتي جميعها من آسيا ومن الأماكن المشمسة"، ولا ريب أن ثيوفراستوس كان يقصد بالأماكن المشمسة بلاد العرب الصحراوية<sup>74</sup>.

كما وصف المؤرخ والجغرافي استرابون (63ق.م-24م) مقدار الغني الذي حصل عليه العرب من خلال هذه التجارة بقوله: "بفضل هذه التجارة فإن هؤلاء الناس (السبئيون) من أغنى الناس ولديهم كميات كبيرة من المشغولات الذهبية والفضية مثل الأرائك والمواد الثلاثية الأرجل والأواني وكؤوس الشراب، وكذلك المنازل المزينة بالزخارف على الأبواب والحوائط والأسقف المطعمة بالعاج والذهب والفضة والأحجار الكريمة<sup>75</sup>.

وفي المأكّل والمشرب كان تأثير هذه البيئة واضحاً على سكانها، حيث اعتادوا أكل ما ينتجونه في المزارع من الثمرات، أو من ما يملكونه من المواشي، حيث ألبانها ولحومها، وربما ما كانوا يستوردونه من الخارج مع تجارتهم، ولذلك كان سكان هذه البيئة أكثر حظاً من غيرهم في هذا الجانب، كما اعتمد أكثرهم على الخدم والعبيد في تقديم وتجهيز الطعام .

<sup>71</sup> . نايجل قروم : عطور اليمن (كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ)، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي، دمشق، 1999م، ص74.

<sup>72</sup> . عارف المخلافي : الطب في اليمن القديم، ص113.

<sup>73</sup> . زياد السلامين : المرجع السابق، ص148.

<sup>74</sup> . عبد المعطي سمس : ثيوفراستوس والجزيرة العربية، إشراف وتحرير عبد الله العبد الجبار، ترجمة الحسين بن عبد الله، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ط1، 1439هـ/2017م، ص73.

<sup>75</sup> . مسفر الخثعمي : استرابون والجزيرة العربية، ترجمة السيد جاد، إشراف وتحرير عبد الله العبد الجبار، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ط1، 1439هـ/2017م، ص121.

أما مياه الشرب، فقد اعتمدوا على العيون والآبار والحسي، كما اعتمدوا على معالجة المياه المالحة، مثل ماء البحر، إذا اضطروا إلى ذلك، فكانوا يضعونه في قدر، ويجعلوا فوق القدر قصبات وعليها صوف جديد منفوش، ويوقد تحت القدر حتى يرتفع بخارها إلى الصوف، فإذا كثر عسروه، ولا يزالون على هذا الفعل حتى يجتمع لهم ما يريدون، فيكون ما استخرج من الماء من عصر الصوف ماء عذب، ويبقى في القدر الزعاق<sup>76</sup>.

كما أنهم عالجوا حتى المياه الكُدرة، فكانوا يلقون فيها نوى المشمش أو قطعة من خشب الساج، أو جمراً ملتهباً يطفأ فيه أو طيناً أرمنياً أو سُويق حنطه، فترسب كُدرة الماء إلى أسفل<sup>77</sup> كما أثرت بيئة الحاضرة على سكانها في الملابس، فقد اعتاد الأثرياء وسادة القوم على لبس كل ما هو فاخر، وقد كانوا يستوردونها من الخارج في بعض الأحيان، فيها أناقة وفيها تصنع، وهي من المواد الغالية الثمينة في الغالب، ويلبسون النعال الجيدة، مثل النعل الحضرمية المشهورة في الحجاز، ويتعطرون بعطور غالية ثمينة، ويركبون الدواب الحسنة المطهمة مبالغة في التباهي والتظاهر، بينما بقية القوم فقد اعتادوا على لبسهم المتواضع، لستر أجسامهم، مما كان يصنع محلياً ويُدبغ.

أما الحياة اليومية لسكان هذه البيئة، فقد اعتاد الأثرياء منهم على قضاء وقته في شرب الخمر، ولعب القمار، ولبس الثياب النظيفة، ومصاحبة القيان، وهم أولاد اليسار والمجان، وكان منهم من يأوي إلى منزل أحدهم فيعكفون على اللهو والشرب، لا يعبؤون ولا يكثرثون، وكانوا في بعض الأوقات يخرجون كغيرهم من السكان إلى القنص والصيد، كما اعتاد سكان هذه البيئة على السمر عند كبار القوم كجماعات، أو عند بعضهم البعض كأفراد، واعتاد بعض سكان هذه البيئة على السفر مع القوافل التجارية، أو العمل في الزراعة أو الرعي، وكثيراً ما اعتمد سكان هذه البيئة على العبيد والإماء في الأعمال والمهن<sup>78</sup>، ولذلك كانوا أكثر سكان الجزيرة العربية راحةً واستقراراً.

<sup>76</sup> . جواد علي : المرجع السابق، ج5، ص78.

<sup>77</sup> . محمد بن أبي بكر الدمشقي : زاد المعاد في هدى خير العباد، ج3، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1415هـ/1994م، ص325.

<sup>78</sup> . عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام، دمشق، 1395هـ/1974م، ص6.

كان لبيئة الحاضرة في الجزيرة العربية، أثر على سكانها كذلك في الجانب الديني، فنجدهم كثيراً ما كانوا يتضرعون بالدعاء إلى الآلهة، لحماية مزارعهم من السيول المدمرة، أو من تعرضها للآفات الزراعية المختلفة خاصة الجراد، أو يشكرونها على حمايتهم من هذه الفيضانات، أو أياً من الآفات الأخرى، وكذلك يؤدي القحط وانحباس الأمطار إلى الضرر بالزراعة، وقد كان المطر المصدر الرئيسي الذي تعتمد عليه الزراعة في الجزيرة العربية، ولذلك كانوا أيضاً يتضرعون بالدعاء للآلهة لاستمرار هطول الأمطار، ولذلك يمكن القول : أن سكان هذه البيئة قد عبدوا كل ما هو مؤثر في حياتهم اليومية، وكل ماله علاقة بالزراعة كالإله ود والإله شيع القوم آلهة القوافل التجارية عند العرب، والتجارة كالشمس والقمر والزهرة<sup>79</sup>، كما قدسوا الكهانة والعرافة، وتسربت إلى الكثير منهم الأديان السماوية كاليهودية والنصرانية<sup>80</sup>، وكذلك الصابئة والمجوسية بحكم العلاقات التجارية واستقرار الجاليات عند بعضهما البعض ونحوها<sup>81</sup> .

كما كان لبيئة الحاضرة في الجزيرة العربية، كذلك أثر على سكانها في الجانب السياسي، فقد حرصوا على الابتعاد عن الحروب، التي تؤدي إلى الخراب والدمار، في المحاصيل الزراعية والآبار، وأن تكون علاقاتهم مع كل القبائل المجاورة أو البعيدة عنهم، قائمة على الود والسلام، وقد ذكر هذه الحقيقة استرابون بقوله : "العرب لم يكونوا محاربين أقوياء بل كانوا على درجة أكبر بانعين وتجاراً ناهيك أن يحاربوا في البحر"، كما ذكر المؤرخ اليوناني بوليبيوس أن الجرهابيين توسلوا إلى الملك انطيوخوس الثالث عندما حاصرهم في مدينتهم الجرهاء بعدم القضاء على دولتهم المزدهرة تجارياً، مقابل أن يدفعوا له فوراً بخمسمائة تالينت (حوالي 12750 كيلوغرام) من الفضة، وألف قطعة من اللبان ومائتي قارورة من زيت المر<sup>82</sup> .

كما ذكرت المصادر أن ملكة سبأ عندما بلغها عزم نبي الله سليمان عليه السلام غزو بلادها لحمل السبئيين على التوحيد ونبذ عبادة الشمس، استغلت هذه الملكة إمكانيات بلادها

<sup>79</sup> . رشيد الناصوري : المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، بيروت، 1969م، ص113.

<sup>80</sup> . سليم الحوت : في طريق الميثولوجيا عند العرب، دار النهار، بيروت، ط2، 1979م، ص28.

<sup>81</sup> . محمد الخطيب : المجتمع العربي القديم، دار علاء الدين للنشر، دمشق، 2008م، ط2، ص169 وما بعدها.

<sup>82</sup> . زياد الشرمان : المرجع السابق، ص56-57.

الاقتصادية الكبيرة، فحملت معها في زيارتها للقدس عام 945ق.م هدايا فاخرة و عطور بكميات كبيرة، وكذلك 120 مثقالاً من الذهب والأحجار الكريمة<sup>83</sup>.

كما حرصوا على التحالف مع القبائل الكبرى، وخير مثال على ذلك ما كانت عليه تجارة قريش بمكة، التي اشتهرت بتحالف الإيلاف، الذي نظم أمورها التجارية مع القبائل العربية، التي دفعت لها قريش مبالغ من المال، واشركتها في أرباح التجارة، مقابل حماية قوافلها التجارية المتوجهة إلى اليمن والشام<sup>84</sup>.

أما سكان الصحاري والهضاب، فقد فرضت عليهم الطبيعة حياة التنقل والحركة الدائمة وراء المراعي والماء، وقد أصبح هؤلاء يتنقلهم الدائم أو الموسمي حلقة وصل بين أطراف الجزيرة، وأصبح هنالك نوع من التقارب والتجانس فيما بين سكان هذه الأقسام في أكثر من جانب من جوانب حياتهم، كما إن إبلهم كانت وسيلة اتصال أهل الجزيرة ووسيلة لنقل التجارة داخل وخارج الجزيرة عبر طرقها البرية .

كانت الصحاري في الجزيرة العربية ملجأ للعربي في تمتعه بحريته المطلقة، التي كانت ميزة له بين جميع الأمم قديماً وحديثاً، ولهذا اختار العربي الإقامة في الصحاري المقفرة، حتى لا يستطيع العدو المغامرة باحتلال بلاده لصعوبة أن يجد في المنطقة مأوى يستطيع أن يتأقلم عليه كما تأقلم عليه العربي<sup>85</sup>.

وعليه يمكن القول أنه بفضل الصحاري الواسعة الممتدة في الشمال والشمال الشرقي، حافظ سكان البادية على ثقافتهم بعيداً عن المؤثرات الأجنبية، أي أن هذه الصحاري فرضت نوعاً من العزلة، كان لها دورها في نقاء الثقافة العربية القديمة، وخلوها من التأثيرات الأجنبية بشكل واضح<sup>86</sup>.

<sup>83</sup> . كريستيان روبان : سبأ والسبئيون في حوليات يمنية، ص23.

<sup>84</sup> الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص165.

<sup>85</sup> . رحمة السناني : ديودوروس الصقلي والجزيرة العربية، إشراف وتحرير عبد الله العبد الجبار، ترجمة أحمد غانم، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ط1، 1439هـ/2017م، ص55 وما بعدها .

<sup>86</sup> . ديتليف نيسلان وآخرون : التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين علي، مراجعة زكي محمد حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1958م، ص46.

أثرت البيئة الطبيعية على سكان الصحاري والهضاب، فعاشوا حياة الترحال دائماً، وقد شكلوا جزءاً كبيراً من سكان الجزيرة العربية، وكان لهم دور هام في تاريخها، شأنهم في ذلك شأن سكانها من الحضرة، وفي الجانب الاقتصادي عملوا في الرعي، وهي المهنة الرئيسية لهم، ومصدر عيشهم، فامتلكوا القطعان الكبيرة من الإبل والأغنام والخيول، وهذه الحيوانات تشكل مصدر ثروة للقبيلة، ومقياس غناها وفقرها، وتنتقل هذه القبائل بقطعانها مسافات طويلة، بحثاً عن المراعي الخصبة، وطلباً لمواضع الماء، وقد اعتبر المؤرخ الروماني أميانوس (325-395م) أن من أسباب سعادة العرب هو غنى المنطقة بالفواكه والماشية<sup>87</sup>، كما أشار ديودوروس الصقلي إلى ثروة أهالي منطقة نجد التي سماها بالجزء الداخلي من شبه الجزيرة العربية، فذكر أنهم كانوا يربون أعداد ضخمة من قطعان الحيوانات<sup>88</sup>.

كما أكدت الحوليات الآشورية والبابلية ما ذهبت إليه المصادر الكلاسيكية عن مدى غنى عرب نجد وشمال الجزيرة العربية، بامتلاكهم للحيوانات المستأنسة المتنوعة، كالجمال والنياق والماشية من ضأن وماعز، حيث أشارت إلى قيمة الجزية الكبيرة التي كان يدفعها ملوك القبائل العربية الشمالية لملوك بلاد الرافدين من هذه الحيوانات<sup>89</sup>.

فالإبل تُعد مصدر ثروة عظيمة عند سكان البادية، ويعد الإبل كانت تُقاس الثروات، والإبل هي المال عند العرب وأساس التعامل بينهم، قال المؤرخ الروماني يوسيبوس القيصري (265-339م) : "إن بلاد العرب أرض الجمال"<sup>90</sup>، وكانت سبب أهمية الجمال عند العرب هو استفادتهم منها في أمور كثيرة، فقد كانت وسيلتهم للمواصلات سواءً للتنقل داخل الصحراء أو

<sup>87</sup> . نورة النعيم : أميانوس ماركيلينوس والجزيرة العربية، ص67.

<sup>88</sup> . رحمة السناني : المرجع السابق، ص73.

<sup>89</sup> . لمياء الكياني وسالم الألوسي : أول العرب من القرن التاسع وحتى السادس قبل الميلاد، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1999م، ص44 وما بعدها .

<sup>90</sup> . زياد الشerman : مقتطفات النصوص اليونانية الثانوية عن الجزيرة العربية، إشراف وتحرير عبد الله العبد الجبار، ترجمة نجلاء عزت، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ط1، 1439هـ/2017م، ص85.

لحمل المتاع والماء على ظهورها، لما يتميز به هذا الحيوان من القدرة على التكيف في هذه البيئة القاحلة<sup>91</sup>.

كما حرص سكان البادية على اقتناء الأغنام والماعز للاستفادة من لحومها وألبانها في غذائهم، وكثروة حيوانية تفيدهم عند ممارسة الطقوس الدينية، وتسهل لهم تنقلهم وأعمالهم ومن جلودها يقومون بصناعة الكماليات الحيوية في حياتهم<sup>92</sup>.

كما حرص بعض سكان البادية على اقتناء وتربية الخيول، لأن لها دور عظيم في الحروب، وكانت نقطة تحول كبرى في الكر والفر على العدو وفي التكتيك الحربي<sup>93</sup>، كما كانت الخيل عندهم من أعز الأموال التي يُعتنى بها كما يُعتنى بالأولاد، وكان من عاداتهم أن يخضب عنق فرسه بدم الفريسة، تقديراً وتبجيلاً وتمييزاً لهذا الفرس عن غيره من الخيول<sup>94</sup>.

والمراعي حق مشاع لأفراد القبيلة، حينما تستقر في مناطق العشب، ومع وجود الملكية العامة في المراعي، فقد وجدت أيضاً ملكية خاصة، وهي ما يعرف بنظام الحمي، وهو أن يحمي رئيس القبيلة أو الملك باسم الدولة أو لملكه الخاص، أو رجال الدين باسم المعبد، أراضي رعوية خصبة يمنعون العامة من الرعي فيها، حتى يتوفر فيها الكلاً وترعى فيها دوابهم، وذلك بالإضافة إلى مشاركة العامة في مراعيهم، إلا أن هذه الملكيات سواء الخاصة أو العامة، هي عادةً ملكيات مؤقتة تزول بانتهاء العشب .

واجه سكان البادية منذ وقت بعيد تحدي البيئة الصحراوية المقفرة، وفرضت ظروفها الطبيعية عجزاً في موارد البيئة، بسبب شح الأمطار مما كان دافعاً لهم للحركة وطلب الرزق والبحث عن ظروف أنسب، فنشطوا في التجارة الدولية والوساطة فيها، ومحالفة القبائل لأجلها، وحفزهم ذلك النشاط على الحركة وأهلهم مبكراً لمعايشة غيرهم من الأجناس والأقوام .

<sup>91</sup> . للمزيد راجع رضا جواد الهاشمي : تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الأثرية والكتابات القديمة، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 23، 1978م .

<sup>92</sup> . أسهمان سعيد الجرو : دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، جامعة عدن، 2003م، ص36.

<sup>93</sup> . نورة عبد الله النعيم : الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف، الرياض، ط1، 1412هـ/1992م، ص160.

<sup>94</sup> . الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج3، ص18.

اعتاد بعض سكان الصحاري والهضاب الاستقرار المؤقت، ومزاولة الزراعة البعل (العشري)، إلى جانب مزاولتهم الرعي كمهنة رئيسية، وذلك في مواسم الأمطار، حيث يزرعون الحبوب في قيعان الأودية وبعض السهول مثل الدخن، كما زرعوا أنواعاً من النباتات والأشجار العطرية، التي كانت تتناسب مع مناطقهم الصحراوية، وربما قد يكونوا تاجروا بها ولو بشكل مؤقت، وكسبوا من خلالها الأموال، وبعد التمام يرحلون إلى البادية، ويزاول هذا النوع من نمط الحياة، البدو الذين يعيشون بالقرب من مواطن الحضر، مثل تهامة ورأس مسندم وغيرها .

استغل سكان البادية منذ القدم بعض مناطق الحرات المتفتتة الحجارة، التي اشتهرت بكونها خصبة صالحة للزراعة، بسبب وجود العيون والأودية، التي تختزن في جوفها طبقة مائية قريبة من سطح الأرض، فاستغلوها زراعياً استغلالاً جيداً<sup>95</sup>، وأقاموا زراعة واحية حصدوا من خلالها محاصيل مميزة من الشعير والتمر وغيرهما<sup>96</sup>، وكانت هذه الواحات التي تُنبت تلك المحاصيل أشبه بالجزر في وسط بحار من الرمال والصحاري مثل واحة تُؤام (البريمي حالياً)<sup>97</sup> كما استفاد سكان البادية من الحرات باستخراج الأحجار منها، كأحجار الرحي، وباستخراج المعادن من الذهب والفضة، كذلك فقد كانت موطناً من مواطن التعدين القديمة فيها، وكانت حرة بني سليم من أشهر هذه المواقع<sup>98</sup> .

أثرت البيئة الطبيعية في حياة سكان الصحاري والهضاب، فأجبرتهم على صناعة بعض مستلزماتهم، كالخيام وبيوتها المصنوعة من الشعر، وبسطها وبعض فرائها، والملابس والأحذية، معتمدين في ذلك على مواشهم، كما عملوا على صناعة بعض الأطعمة كالسمن والأقط وغيره . كما حرص سكان البادية على صناعة أسلحتهم من مواد الطبيعة التي حولهم، وفي هذا يقول ديودوروس الصقلي واصفاً أسلحة العرب المشاركين في جيش الأخمينيين : "كانوا مسلحين

<sup>95</sup> . توفيق برو : المرجع السابق، ص29.

<sup>96</sup> . فتحي أبو عيانة : المرجع السابق، ص133.

<sup>97</sup> . حمد محمد بن صراي : عُمان من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 2005م، ص162.

<sup>98</sup> . م . ت . هوتسما وآخرون : موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج18، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتناوي وعبد الحميد يونس، ترجمة نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، مراجعة وأشرف حسن حبشي وعبد الرحمن الشيخ ومحمد عناني، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، ط1، 1418هـ/1998م، ص5802.

بقوس طويلة مصنوعة من جريد النخل وكانوا يستعملون معه سهاماً قصيرة من الخيزران رؤوسها من الحجر وليس الحديد<sup>99</sup>.

كما استفاد سكان البادية من جلود الحيوانات التي معهم في صناعة ما يحتاجون إليه كجلب الماء مثلاً<sup>100</sup>، وكذلك من أوبار الماعز في صناعة الخيم<sup>101</sup>، ومعظم أكسية العرب كانت من وبر الإبل<sup>102</sup>، كما استخدموا الصوف لصنع بيوتهم المتقلة المعروفة بالخباء<sup>103</sup>، وكذلك استخدموه لأنواع من الأكسية أشهرها البُرْدَة<sup>104</sup>، كذلك استفادوا من قرون حيواناتهم في الصناعة حيث استخدموها لأسنة رماحهم<sup>105</sup>، وكذلك كمكاحل لحفظ الكحل<sup>106</sup>.

حرص سكان البادية عند صناعة خيمهم، على تقسيمها إلى قسمين، قسم للنساء والسكن، لا يدخله غريب، وقسم يكون للرجال والضيوف، يجلسون ويأكلون فيه، ويكون نادياً ومضيفاً يخصص للقادمين ولضيوف صاحب ذلك البيت، كما حرص بعض سكان البادية عند صناعة خيمهم، أن تكون واسعة، وهي دلالة على منزلة صاحبها ومكانته وثرائه، ولذلك يفخر العزيز منهم بسعة بيته أي خيمته.

ولشيخ القبيلة خيمة كبيرة تكون مضرب القبيلة، ومقر السيد الرئيس ونادي القوم، يسمرون فيها ويأوي إليها الضيوف، وإليها يلجأ المحتاج، ومن به خاصة إلى الإقراء أو أي حاجة أخرى كما تضرب للسادة الأشراف والأغنياء من أهل البادية، قبب خاصة تكون من الأدم، وتعتبر هذه القباب من إمارات التعظيم والتفخيم والامتياز والجاه عند الملوك، ولذلك يعامل من تضرب له القبة معاملة خاصة<sup>107</sup>.

99 . رحمة السناني : هيرودوتوس والجزيرة العربية، ص88.

100 . المرجع السابق : ص69.

101 . زياد السلاطين : بلينيوس والجزيرة العربية، ص106.

102 . جواد علي : المرجع السابق، ج1، ص197.

103 . الجوهري : الصحاح في اللغة، ج1، ص185.

104 . الزبيدي : تا العروس، ج7، ص414.

105 . ابن منظور : لسان العرب، ج11، ص22.

106 . جواد علي : المرجع السابق، ج16، ص32.

107 . المرجع السابق : ج5، ص5\_6.

كما أثرت بيئة الصحاري والهضاب في سكانها من حيث الملابس، حيث اعتاد الجميع على لبس كل ممن شأنه يستر الجسم، ويساعد على الحركة، لكثرة الأعمال التي يقوم بها سكان هذه البيئة، حيث الانتقال والتوقف، ونصب الخيام، والرعي والحطب وجلب الماء، وربما الزراعة في بعض الأوقات، ولذلك ابتعد السواد الأعظم منهم عن التباهي في الملابس، باستثناء شيخ القبيلة في كثير من الأحيان، فلمكانته ودوره بين أفراد القبيلة، حرص أكثرهم على ارتداء كل ما يدل على أنه زعيم تلك القبيلة، مع ابتعادهم عن المبالغة، والتي يأنفها سكان تلك البيئة .

وفي المأكل والمشرب أثرت هذه البيئة على سكانها، فقد كان الطعام بسيطاً، لشح بيئة البادية، وغالباً أكلهم من لحوم الصيد والسويق والألبان، وكانوا لا يعافون شيئاً من المأكل لقلته عندهم، حتى أنهم يأكلون كل شيء تقع أيديهم عليه، كالجراد والضب واليرابيع والقنافذ<sup>108</sup>، وقد أثر ذلك على هيئة الإنسان ووزن جسمه، فصار جسم الأعرابي نحيفاً في الغالب، لبساطة أكله، وقلة المواد النشوية والدهنية فيه .

كما كان سكان هذه البيئة يفصدون عرق الناقة، ليخرج الدم منه فيشرب، يفعلونه أيام الجوع، كما كانوا يأخذون ذلك الدم ويسخنونه إلى أن يجمد ويقوى، فيطعم به الضيف في شدة الزمان، إذا نزل بهم ضيف فلا يكون عندهم ما يقويه، ويشح أن ينحر المضيف راحلته فيفصدها، والفصيد دم كان يوضع في الجاهلية في معي من فصد عرق البعير ويشوى، وكان أهل الجاهلية يأكلونه وتطعمه الضيف في الأزمة .

أما مياه الشرب، فقد اعتاد سكان هذه البيئة، إلى قطع المئات من الأميال للوصول إلى موضع ماء للتزود به، ولهذا صار عزيزاً عليهم ثميناً، فقد تنقذ كمية قليلة منه حياة شخص، وتكثر الحاجة إليه بصورة خاصة في الصيف، حيث تشتد الحرارة، فيشتد العطش، ولذلك يقترب الناس في موسم الصيف من مواضع الماء، حتى إذا نفذ ما عندهم منه، ذهبوا إلى أقرب ماء إليهم للتزود به .

<sup>108</sup> . جواد علي : المرجع السابق، ج5، ص6 .

وأذ المياه عند سكان هذه البيئة، ماء الغيث أي المطر، فإذا جادت السماء به، سال إلى المواضع المنخفضة وتجمع بها، فيأتي سكان هذه البيئة إليها للاستفادة منها. كما حرص سكان البادية على الاستفادة من تجمع المياه في القيعان، وهي الأرض الحرة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماؤها وهي مستوية ليس فيها تطامن ولا ارتفاع، وإذا خالطها الرمل لم تكن قاعاً، لأنها تشرب الماء فلا تمسكه<sup>109</sup>، وأكثر القيعان في الجزيرة العربية هي التي تكون في منحدرات الأودية والمسائل في انحدارها الطبيعي نحو الشرق والشمال الشرقي، فتكون مسطحات مائية تغذيها تلك الأودية والمسائل<sup>110</sup>، ومن أمثلة قيعان الجزيرة العربية قاع برية بين عمان وحضرموت حالياً، وقاع النقيع وهو موضع في ديار بني سليم، وقاع فراقر في جبلي آجا وسلمى وغيرها<sup>111</sup>.

كما عمل سكان البادية في قلب الصحراء خزانات من المياه الجوفية، يخفونها على من يطاردهم من الأعداء، بطبقة من الملاط للحفاظ على سلامتها وعلى سلامتهم أيضاً من الموت عطشاً، بعد نجاتهم من الموت قتلاً على أيدي الأعداء<sup>112</sup>.

وفي الحياة اليومية لسكان هذه البيئة، فقد اعتادوا على النوم المبكر والاستيقاظ المبكر كذلك، ومن ثم ممارسة الأعمال التي يعتمد عليها سكان هذه البيئة في يومهم، كالخروج للصيد وجلب الطعام لأفراد العائلة، حيث كان الصيد منذ أقدم العصور وسيلة هامة لتأمين حاجة سكان شبه الجزيرة العربية، لا سيما سكان المناطق الصحراوية منها، وكان التوازن قائماً منذ آلاف السنين ما بين الحيوانات التي يمكن أن تحتضنها الصحراء، وبين ما يستطيع الإنسان صيده منها<sup>113</sup>، يقول المؤرخ أميانوس : "...وكانوا جميعاً يتغذون على لحم الطرائد واللبن الوفير والأعشاب المتنوعة وأية طيور يصطادونها..<sup>114</sup>"، كما أكد المؤرخ اليوناني أجاثارخيديس أهمية

<sup>109</sup> . محمد بن أحمد الهروي الأزهري : تهذيب اللغة، ج3، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ص33.

<sup>110</sup> . عبد الله الغنيم وآخرون : المرجع السابق، ص18.

<sup>111</sup> . زكريا بن محمد الأنصاري القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ط1، 1389هـ/1969م، ص86.

<sup>112</sup> . رحمة السناني : المرجع السابق، ص133.

<sup>113</sup> . مايكل جنينغر : أطلس الطيور المتكاثرة في شبه الجزيرة العربية، ص35.

<sup>114</sup> . نورة النعيم : أميانوس ماركيلينوس والجزيرة العربية، ص67.

الصيد عند العرب قائلًا : "كانوا يشتغلون بصيد الحيوانات"<sup>115</sup> ، ولأهمية الصيد عند أهل البادية، فقد كان لهم موسم صيد سموه بأهم ألتهتهم وهو عثتر<sup>116</sup> ، فبسبب قسوة بيئته الصحراوية التي جعلت اللحم من أعز ما يُطلب، كان يصل إلى اللحم إما عن طريق الرعي أو الصيد، ولم يكن عليه هين أن يذبح من ماشيته، ولهذا كان خيار الصيد هو وسيلته إلى اللحم .

اعتمد سكان البادية في مطاردة الفرائس على الخيول، وكذلك الصقور المدربة والكلاب السريعة<sup>117</sup> ، كما استعملوا الحبال والأشراك والخطاطيف لابقاع الفريسة، وكان ممن اشتهر من العرب بالصيد والشعر معاً أوس بن حجر التميمي، الذي بلغ الغاية في الصيد<sup>118</sup> .

أو احضار الماء للشرب، أو الحليب من المواشي، حتى تعمل العائلة على تجهيزه للطعام، وكذلك احضار الحطب لإيقاد النار، وكانت المرأة تشارك الرجل في أعباء الحياة اليومية، وكان أحد أفراد العائلة يذهب للرعي بالمواشي، ويوكل له الاهتمام بها والحرص عليها ومعالجتها إذا اقتضى الأمر .

اعتاد شيخ القبيلة في هذه البيئة على الاطلاع بكل أحوال أفرادها، وأن يجتمع القوم عنده إذا لزم الأمر، وقد كانت خيمته كبيرة وواسعة للجميع، وقد يزوره أفراد القبيلة بشكل شبه يومي للحديث ومعرفة الأخبار، ويمكن القول بأن سكان هذه البيئة قد اعتمدوا على انفسهم في كل شؤون حياتهم اليومية .

وفي الجانب الديني نجد أن سكان هذه البيئة، قد عبدوا كل القوى المؤثرة في حياتهم اليومية، فقدسوا الشمس والقمر والنجوم، والمطر والرعد والبرق، والأغنام والإبل، وربما حيوانات أخرى اعتمدوا عليها كالكلاب والذئاب والخيول، حيث رأوا أن للحيوان روحاً مثل روح الإنسان، وانها تبقى بعد موته وتكون قادرة في الحالتين على عمل الخير والشر، فكان من الطبيعي أن يقترب الإنسان إلى قوة الخير، وأن يسترخي قوة الشر، أو لأن روحاً مقدسة تحل فيه، أو ربما

115 . عبد المعطي سمسم : أجاثرخيديس الكندي، ص43.

116 . جواد علي : المرجع السابق، ج3، ص285.

117 . المرجع السابق : ج8، ص268.

118 . لأصفهاني : الأغاني، ج10، ص5.

رأى في الحيوان رمزاً أو صورة لمعبوده أو قوة هي أعلى منه لا يراها<sup>119</sup>، وقد تسمى العرب في البادية وخارجها بأسماء مرتبطة بالحيوانات مثل ذيب وصقر ونسر وعبد أسد وغيرها<sup>120</sup>.

كما قدسوا الجن لاتقاء شرها، وبعض الكهوف والوديان ومجاري السيول، وربما بعض سكان هذه البيئة قد قدسوا الأفراد، وخاصةً شيوخ القبائل، لمساعدتهم ونصرتهم لهم وقت الحاجة، كما نظروا للحرب نظرة تقديس وإجلال، فرمزوا لها بعدة رموز، تدل على أنها آلهة للحرب، وذلك إيماناً منهم بأن القوي هو الذي يستحق العيش على هذه الأرض، فلا مكان للضعفاء عندهم، ويمكن القول أن آلهة سكان هذه البيئة لم تكن ثابتة في مكانها، بل كانت تنتقل معهم من مكان لآخر<sup>121</sup>.

أما سكان السواحل إلى البحر فعملوا بالصيد للحصول على الغذاء، ولبيع الفائض منه، أو لتجفيف الزائد منه أكله وقت الحاجة، أو لتقديمه علفاً لحيواناتهم<sup>122</sup>، كما اتخذوا من جذوع الأشجار قوارب وسفنًا ركبوا بها البحر، وتاجروا مع المناطق المقابلة لسواحلهم حتى وصلوا الهند، كما استخرجوا منه اللؤلؤ والمرجان والأسماك والأعشاب البحرية .

هذا وقد وفرت طبيعة بلادهم الكثير من الموارد الأولية، التي استخدمت في صناعة ما يحتاجون إليه في حياتهم اليومية، سواء كانوا من سكان المناطق الزراعية أو البادية الساحلية، فقد توفرت في جبالها المعادن والحجارة التي استخرجوها وصنعوا منها أدواتهم وبعض الصناعات الأخرى، ومن نباتاتها وثمارها صنعوا أغذيتهم كالزبيب والخمر والزيت والبخور والعطور والأصباغ وغيرها، يقول الشاعر الروماني هوراتيوس (65-8ق.م) : "وماذا عن البحر الذي يمنح الثراء للعرب والهنود في أقصى الأرض"<sup>123</sup>، كما يذكر المؤرخ الروماني بلينيوس كلاماً

119 . علي الدين محي الدين : عبادة الأرواح (القوى الخفية) في المجتمع العربي الجاهلي، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، ص154.

120 . حمد محمد بن صراي : عملات ما قبل الإسلام المكتشفة في شرقي شبه الجزيرة العربية ودلائلها الشخصية والدينية سياسية والاقتصادية، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، ط1، 2003م، ص42 وما بعدها .

121 . محمد الخطيب : المرجع السابق، ص155 وما بعدها .

122 . جواد علي : المرجع السابق، ج8، ص270

123 . حمد بن صراي : مقتطفات النصوص، ص112.

قريباً من ذلك فيقول : "وبوجه عام فهم (أي العرب) أغنى شعوب العالم فهم يبيعون ما يحصلون عليه من البحر أو من غاباتهم وفي المقابل لا يشترون شيئاً"<sup>124</sup> .

يعتبر استخراج اللؤلؤ من أبرز ما استفاد منه سكان السواحل في الجزيرة العربية، حيث جنوا من خلال بيعه ثروة معتبرة، وقد ذكر ذلك بلينيوس قائلاً : "بلا شك فإن بحر بلاد العرب هو الأسعد من أراضيها لأنه هو الذي يمدها باللؤلؤ وعلى أقل تقدير فإن الهند وسيريس (الصين) وبلاد العرب يحصلون على مبلغ مائة مليون سيستيرتيوم من امبراطوريتنا كل سنة تمثل قيمة ما يكلفنا به ترفنا ونساؤنا"<sup>125</sup> .

وقد اشتهر سكان الخليج العربي خاصةً قبل الإسلام وبعده بحرفة الغوص لاستخراج اللؤلؤ من الصدف الكامن على قاع البحر، وكانت هذه الحرفة تعود عليهم بأرباح طائلة<sup>126</sup>، ويعتبر اللؤلؤ الخليجي أجود أنواع اللؤلؤ الطبيعي، وقد عُرف في بعض النصوص الأثرية القديمة بعين السمك<sup>127</sup> .

كما استفاد سكان السواحل في الجزيرة العربية من السمك، والذي كان الطعام الأساسي لهم، فقد ذكر المؤرخ اليوناني أجاتارخيديس : " هناك أيضاً خيرات كثيرة أخرى من السمك في هذه الأقاليم تمتاز أنواع منها بخصائص غير معتادة أحد هذه الأنواع سمك ذو لون أسود داكن للغاية يصل حجمه إلى حجم الانسان ويسمى الإثيوبي بسبب شكل رأسه ووجه وعند بدء صيده كان الناس يخشون بيعه أو أكله بسبب شكله هذا ولكن مع مرور الوقت اعتادوا بيعه وأكله مثل سائر أنواع السمك"<sup>128</sup> .

أطلق الكتاب الكلاسيكيون على الشعوب الساحلية للجزيرة العربية التي كان أساس نظامها الغذائي يقوم على استهلاك الأسماك المتنوعة والأحياء البحرية مصطلح آكلو الأسماك<sup>129</sup>، حيث

<sup>124</sup> . زياد السلامين : المرجع السابق، ص129.

<sup>125</sup> . زياد السلامين : المرجع السابق، ص166.

<sup>126</sup> . جواد علي : المرجع السابق، ج8، ص270.

<sup>127</sup> . المرجع السابق : ج2، ص216.

<sup>128</sup> . عبد المعطي سمس : المرجع السابق، ص56.

<sup>129</sup> . حمد محمد بن صراي : الطواف حول البحر، ص99.

استقادوا من لحومها استفاضةً قصوى، فقد أكلوها طرية وجففوها تحت أشعة الشمس أو عن طريق التمليح لأكلها وقت الحاجة<sup>130</sup>.

كما استقاد سكان السواحل من جلود السمك، فكانوا يصنعون منها أشياء متعددة، فالسفن كانت تصنع من جلد الأطوم، وهو نوع من السمك يعيش في المياه الضحلة والدافئة في البحر الأحمر والمحيط الهندي، ويمتاز بجلده الخشن الغليظ، كما كان يُعمل منه السياط والسهام والنعال وخفاف الجمالين، وتغطي به قوائم السيوف، ويحك به الخشب حتى يلين<sup>131</sup>، كما ذكر استرابون أن سكان السواحل كانوا يرتدون ملابس من جلود السمك<sup>132</sup>.

استقاد سكان السواحل من دهن السمك، لا سيما الحوت الكبير وهو ما ذكره بلينيوس حيث قال: "أن العرب كانوا يدهنون الجمال بدهون مختلفة من السمك لدرجة أن الذباب كان يبتعد عن تلك الجمال بسبب الرائحة"<sup>133</sup>، واستقادوا كذلك من السلاحف البحرية في لحومها، وكذلك في استخدام اصداقها في عدة أعمال كصناديق حلى أو أطباق<sup>134</sup>، كما استقادوا من الشعب المرجانية أو المرجان<sup>135</sup>، وكذلك من صيد سرطان البحر والجمبري وغيرها<sup>136</sup>.

عمل سكان الساحل في التجارة البحرية، فقد ذكر الإمبراطور البيزنطي فلافيوس جستينيانوس (482-565م) في كتابه مجموعة القوانين المدنية، أن الدولة البيزنطية في عهده كانت تستورد من البلاد العربية العديد من السلع التي تحتاج إليها وعدد منها الأعشاب البحرية<sup>137</sup>، وربما قد اعتمدوا وتحالفوا مع القبائل الداخلية في تصدير سلعهم إلى الخارج، وهو ما أدى بدوره إلى أن ربحوا الأموال، وبنوا المنازل، وتأثروا بعادات وتقاليده الدول التي تاجروا معها كالهند والسند والصين وإفريقيا، وربما اتقنوا لغاتهم وتأثروا بدياناتهم وتزاوجوا معهم.

130 . جواد علي : المرجع السابق، ج13، ص120.

131 . المرجع السابق : ج14، ص279.

132 . مسفر الخثعمي : المرجع السابق، ص90.

133 . زياد السلامين : المرجع السابق، ص75.

134 . مسفر الخثعمي : المرجع السابق، ص90.

135 . عبد المعطي سمس : المرجع السابق، ص55.

136 . مسفر الخثعمي : المرجع السابق، 111.

137 . حمد بن صراي : مقتطفات النصوص النثرية، ص81.

يرى الباحث أن معظم سكان السواحل في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، قد عبدوا آلهة لها علاقة بحياتهم اليومية، وربما بمصدر رزقهم كالشمس والقمر والنجوم، كما عبدوا آلهة لحماية قوافلهم التجارية البحرية كالإله نبوتن Nepton إله البحر، الذي كان مهمته الحفاظ على سلامة التجارة البحرية<sup>138</sup> .

---

<sup>138</sup> . مها البديع : الجزيرة العربية في كتابات استرابون وبلينيوس الأكبر في القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الأول الميلادي، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب للبنات، الرياض، 1423هـ/2002م، ص269.

## الخاتمة :

1. تميزت شبه الجزيرة العربية بتنوع تضاريسها، حيث الصحاري الشاسعة والجبال والهضاب والمناطق الساحلية، وهو ما أدى بدوره إلى وجود مجتمعات، تختلف عن بعضها البعض في العادات والتقاليد وسبل العيش.
2. كان لبيئة الجزيرة العربية تأثير كبير على سكانها، في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما أنها أثرت بشكل واضح في علاقات القبائل مع بعضها البعض، في الجوانب السلمية وكذلك الحربية .
3. حاول سكان الجزيرة العربية التكيف مع بيئة الجزيرة العربية الصعبة، فحاولوا الاستفادة من قلة الأمطار وتخزينها، وكذلك من الآبار وبناء السدود، في الزراعة وتربية المواشي .
4. استعاد سكان الجزيرة العربية من الزراعة وتربية المواشي في التجارة، سواء البرية أو البحرية، وكذلك من موقع الجزيرة العربية المتوسط للقارات، وهو ما أدى إلى وجود طبقة ثرية من العرب.
5. لم تكن بيئة الجزيرة العربية على الرغم من صعوبة تضاريسها ومناخها، عائقاً لعرب الجزيرة، بل حاولوا التكيف مع هذا الواقع، وتذليل كل الصعاب، والاستفادة منها فيما هو خير لهم.